30 نوفمبر ذكرى ترفع الهامات

عبدالعزيز مقبل:
كان جلاء المستعمر البريطاني انتصاراً تاريخياً للحركة الوطنية اليمنية عموماً بكل فصائلها وجيوبها الثورية

□ عبدالعزيز مقبل

د/سيف علي مقبل:
احتفالنا بعيد الاستقلال تعبير عن السيادة الوطنية والتحرر من الاستعمار

□ د/سيف مقبل

الاخطاء والمحن

□ لقد تعرضت ثورة ١٤ أكتوبر لجملة من الأخطاء والمحن أثرت سلبياً على مركزها النضالي ومسيرتها الوضاءة، وفي فهمنا لها أنها إفراز لظروف موضوعية وذاتية، فانطلاق ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة والرعاية والدعم الناصري لها هيأت مناخاً لتسريع حركة تحرير جنوب الوطن والميل الشعبي الواسع للكفاح المسلح وحماسة جيوبه الثورية وتآلفها العفوي في إطار جبهوي دونما إنضاج شروطه التنظيمية ومشروعه السياسي وانفتاح العلاقة مع التجمعات والأطراف السياسية خارجه المترددة في الالتحاق به أو لم تتهيأ للعمل المسلح، فخضعت الجبهة القومية لهيمنة حركة القوميين العرب لتميز مقاصدها الحزبية وكفاءة بنيتها التنظيمية، مما أفضى إلى توتر العلاقة الجبهوية داخلياً وخارجياً ومحاولة السيطرة عليها عام ١٩٦٥م من خلال المؤتمر الأول للجبهة وبلورة مشروعها السياسي من خلال الميثاق الوطني، ولكن دون جدوى.

ولقد أضرت نزعة الاستئثار الحزبي بمسيرة الكفاح المسلح بتوظيفه كطريق وحيد للعمل الوطني وعدم الاعتراف بشقه السياسي وإقصاء أطرافه من شخصيات وتجمعات وأطراف حزبية من الالتحاق الجبهوي وحيوية توسعه لقيادة ثورة ١٤ أكتوبر والاستجابة للشروط والمتطلبات الوطنية والعربية لدعم مسيرتها وتوسيع الجبهة الوطنية للشعب في مواجهة المستعمر وعملائه وتحصين المواقف الوطنية في إجلائه وتحقيق أهداف التحرر الوطني الناجزة والكاملة.

وبقدر ما جاء اتفاق ١٣ يناير ١٩٦٦م وإعلان قيام جبهة التحرير تجاوباً مع الظروف الموضوعية والذاتية لثورة ١٤ أكتوبر واتساع قاعدة الملتحقين بمسيرتها وتعاظم عملياتها الكفاحية فإن نزعة الاستئثار الحزبي الضيق في الجبهة القومية ضاق عليه الإطار الجبهوي الواسع الجديد كممثل وحيد للشعب أمام استحقاقات التحرير والاستقلال، وكان لإعلان انشقاق الجبهة القومية عنه أثره البالغ سلبياً في تشظي الصف الوطني وصداماته الدموية قبل الاستقلال وتغلب نزعة الاستفراد الحزبي به وإلغاء الآخر أدواراً ووجوداً سياسياً وحزبياً وبداية مرحلة قاسية من التصفيات والملاحقات والاستبداد السياسي والفئوي الضيق وجد مناخاً مؤيداً له وطنياً ودولياً في رفض الديمقراطية والتعددية الفكرية والسياسية والحزبية التي تفرض نفسها اليوم بقوة حركة التاريخ وأصبح ما قبلها ماضياً ذهب بكل أحزانه وأثقاله على مسيرة الثورة اليمنية عموماً وثورة ١٤ أكتوبر خاصة.

مواجهة تحديات العصر

□ نجدد التأكيد على أن الوحدة الوطنية هي الحقيقة الثابتة لشعبنا ولتاريخنا ومصدر قوة وطننا وانتصاره على الغزاة والمستبدين والتخلف، فكل المؤسسات الرسمية والشعبية والتعددية السياسية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية معنية من موقعها الوطني بالحفاظ على وحدة شعبنا والوقوف بصلابة وحزم أمام أوهام التشرذم والقسمة والتشظي أياً كانت عشائرية أو طائفية أو سلالية أو مناطقية أو أيديولوجية ويختزن تاريخنا مرارات ما فرضته من مآسي وويلات ومظالم.

لقد انتصرت الثورة اليمنية وأهدافها للوحدة الوطنية، وهما وجهان لوطننا اليمني وتمكينه من مواكبة التطور الإنساني والتمتع بمعطياته والمواجهة بجدارة واقتدار لتحديات العصر وما يتهدد حاضرنا ومستقبلنا.

إن إقامة المجتمع الديمقراطي التعاوني هو أحد أهداف الثورة ويفرض على جميع القوى الاجتماعية والاقتصادية الاضطلاع بمسؤولياتها للنهوض الوطني المنشود الذي يتحقق من خلاله تقليص الفوارق الاجتماعية وصداماتها التي تضر بأواصر الوحدة الوطنية لشعبنا، ويأتي في مقدمة ذلك العمل الجاد والمخلص في استراتيجية محاربة الفقر والتخفيف من وطأته.

إن الفساد والمفسدين مصدر خطر على الوحدة الوطنية مما يسببه عبثهم بموارد وقدرات المجتمع الذي يرتبط ازدهاره المنشود بدعم قوته الإنتاجية لا الاستهلاكية فحسب، وهي مسؤولية لا تستقيم معها روح الأنانية ونزعات الاستئثار أياً كانت اقتصادية أو سياسية... الخ ما ظهر منها وما بطن، قوة الدفع الحقيقية لمجتمعنا بالتكافل والتعاون وتبادل الحرص بين فئاته، فذلك سبيل الضعفاء ولمواجهة الفقر والتخلف وسد الاحتياجات.

إن الإحساس الصادق بروح الوطنية والانتماء إليها كان مصدر قوة وازدهار مجتمعات التقدم التي نتطلع إلى محاكاتها.

الوفاء والإشادة

□ إن الثورة اليمنية هي طريق شعبنا ووطننا، وأن تتبارى المشاريع السياسية والاقتصادية في إطار تحقيق أهدافها والحفاظ على مكتسباتها في التحرر الديمقراطي وصيانة الوحدة الوطنية ودولتها الواحدة والمنيعة وانتمائها قومياً، وثانياً ومن الواجب علينا أن نتذكر بالوفاء والإشادة للرائع الأول للثورة اليمنية المعاصرة الزعيم الخالد جمال عبدالناصر الذي كانت لتجربته الكفاحة تأثيرها الروحي على نضال شعبنا وتطلعاته.

انتزاع الاستقلال

□ الأخ المؤرخ المناضل الدكتور سيف علي مقبل :

- في ١٩ يناير ١٨٣٩م احتل البريطانيون عدن، ثم توغلوا جنوباً ليحتلوا الجنوب اليمني كله، وفي عام ١٨٤٩م احتل العثمانيون تهامة في الشمال ومن ثم احتلوا بقية المناطق ليصبح الشمال تحت الاحتلال الأجنبي العثماني، ومنذ أول يوم لوجود هذين المستعمرين في اليمن لم تتوقف المقاومة، وفي نوفمبر ١٩١٨م تحصل الشمال اليمني على استقلاله، ولكن بدون وثيقة الاستقلال، ولهذا لم تجر العادة الاحتفال بهذا الاستقلال لأنه من طرف واحد، وضد الاستعماريين البريطانيين اشتعلت أوار انتفاضات شعبية ومن ثم ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م ووصلت الثورة إلى حد انتزاع الاستقلال الوطني في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م، ولهذا جرت العادة الاحتفال بهذا العيد الوطني من كل عام تعبيراً عن السيادة الوطنية والتحرر من الاستعمار الأجنبي، ومن هذا المنظور يجري النظر إلى الاستقلال الوطني في عيده السابع والثلاثين، وأجدها مناسبة لطرح بعض الأخطاء في النظام السابق في الجنوب، وأرى أن هذه الأخطاء تتكرر اليوم في ظل النظام الحالي، وأسوق بعض الأمثلة على ذلك، فهناك مواقف تجاه المناضلين غير صحيحة وغير مريحة، وهذا المثال عام، وهو أنه من العار والإهانة تخصيص مبلغ خمسمائة ريال راتباً للمناضلين والشهداء بعد كل هذه التضحيات الجسيمة التي قدموها، ومثال آخر عام عن أحوال المناضلين اليوم، إهمال وتجاهل واليوم تتكرر نفس الأخطاء، فقد وزعت التكريمات والأوسمة على أساس حسابات شخصية وقبائلية، وحتى لا تقول إنني أحرث في البحر أذكر لك بعض الأسماء التي حرمت سابقاً ومحرومة اليوم من التكريم، وهم الشهيد هاشم عمر، وعلي الشامي، وسعيد حمود ناجي الإبي، وأنيس جامع، وسيف علي مقبل، وآخرون، وهناك مثال خاص، فيكفي أن أقول إنني سفير في وزارة الخارجية ومحروم من منذ (١٤) عاماً من الترشح للعمل في الخارج في أي سفارة، لأنني لا أشرف العمل في الخارج، لأنني مناضل وأحمل إصابة في قدمي اليسرى في حرب التحرير، ولولا أن أتى الدكتور أبو بكر القربي، وزير الخارجية، وهو المثقف والأكاديمي، ليؤكد أن التعيين في الخارج حق من حقوقي المكتسبة، وأسوة بالآخرين.

إن الاحتفال بعيد الاستقلال الوطني ليس شكلاً، فكما يعلمنا العيد السابع والثلاثون أهمية الحفاظ على السيادة الوطنية، فإنه من الضروري حل مشاكل المناضلين وأسر الشهداء.

السلبيات

□ كل حدث عظيم يحمل إيجابيات وسلبيات، والأهم أن تكون الإيجابيات أكثر من السلبيات، وكذلك الحال لثورة ١٤ أكتوبر التحررية المسلحة، فقد كانت إيجابياتها أكثر من السلبيات، ويكفي أن نقول إن ثورة ١٤ أكتوبر حققت الاستقلال الوطني وأجبرت المستعمر البريطاني بعد مرور (١٢٩) عاماً على الاحتلال بسحب قواته والتسليم بالسيادة الوطنية، ولكن يمكننا القول إن بعض السلبيات رافقت ثورة ١٤ أكتوبر التحررية المسلحة في مرحلة الكفاح المسلح، وهذه السلبيات هي :

أولاً : عندما عقد العزم في الشروع بالثورة المسلحة لتحرير الجنوب اليمني المحتل، وبمبادرة من فرع حركة القوميين العرب في اليمن دعا إلى اجتماع في مارس ١٩٦٣م في صنعاء لعدد من فصائل الحركة الوطنية اليمنية بغرض التحضير للثورة المسلحة لتحرير الجنوب المحتل بالقوة، فثارت بعض الأحزاب وتحديداً حزب الشعب الاشتراكي اعتراضاً على تفجير الثورة المسلحة، وخصوصاً الأصنج الذي صرح بأن هذه ثورة دراويش، ليضيف قائلاً : لماذا نحرق الزرع والأرض؟ ورفض المشاركة في الثورة المسلحة، وحينها شكلت جبهة هي الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في ١٩ أغسطس ١٩٦٣م عوضاً عن جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، التي أعلن عنها في مارس ١٩٦٣م، وبذلك سجلت أول سلبية في ثورة ١٤ أكتوبر المسلحة التحررية، ولم يتم معالجتها إلاّ عام ١٩٦٦م، ولكن بصورة قسرية وغير ديمقراطية.

ثانياً : عندما توصلت بعض الأحزاب التي كانت ترفض الكفاح المسلح إلى حل لنيل السيادة والاستقلال ممثلة في حزب الشعب الاشتراكي وبعد عامين من الثورة المسلحة، وأرادت اللحاق بركب الثورة للاستفادة منها، وكانت الجبهة القومية غير مستعدة لإفساح المجال لهذه القوى للمشاركة في الثورة، وخصوصاً رابطة أبناء الجنوب المحتل، وبتخطيط ورسم شكل الوضع الجديد فرضت المخابرات المصرية دمجاً قسرياً وبصورة غير ديمقراطية بين منظمة التحرير والجبهة القومية في ١٣ يناير ١٩٦٦م، لينتج عن هذا الدمج قيام جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل، وليبدأ شرخ عميق في ثورة ١٤ أكتوبر نتج عنه أن انسلخت الجبهة القومية في ٢ نوفمبر ١٩٦٦م عن جبهة التحرير وبدأت بالعمل المستقل، ولقاء هذا القرار حرمت الجبهة القومية من المساعدات العسكرية والمالية والإعلامية، كما نتج عن الدمج عزوف عدد من الفدائيين وجيش التحرير عن العمل في إطار جبهة التحرير، فشكلوا في أغسطس ١٩٦٦م التنظيم الشعبي للقوى الثورية، وأصبح وجود التنظيم الشعبي الذي تألف من ست فرق عسكرية، وكانت هذه ثاني أبرز سلبية رافقت الكفاح المسلح.

ثالثاً : نتيجة للتنافس بين الجبهة القومية من جهة والتنظيم الشعبي وجبهة التحرير من جهة أخرى، وبدس ووقيعة من المخابرات البريطانية اندلعت حربان أهليتان بين الجبهة القومية وجبهة التحرير والتنظيم الشعبي، كانت الأولى في ٤ سبتمبر ١٩٦٧م والثانية في ٢ نوفمبر ١٩٦٧م، كما أن اندلاع الحربين الأهليتين كان يخدم الاستعمار البريطاني وعملاءه في المنطقة وعلى إثر الحرب الأهلية الثانية وبانضمام جيش اتحاد الجنوب العربي إلى صف الجبهة القومية في ٦ نوفمبر ١٩٦٧م قضي على جبهة التحرير والتنظيم الشعبي وكان مصير عناصرهما إما المعتقلات أو التشريد، وباقتتال الثوار فتح المجال أمام بريطانيا لتختار الجبهة القومية لتسليمها الاستقلال الوطني، وكانت علاقة الجبهة القومية سيئة مع نظام جمال عبدالناصر في مصر، وكذلك النظام في صنعاء، ولهذه الأسباب سلمت بريطانيا الجبهة القومية الاستقلال الوطني وبعد تشريد واعتقال عناصر التنظيم الشعبي وجبهة التحرير.

رابعاً : وافقت بريطانيا على التفاوض مع الجبهة القومية لمنحها وثيقة الاستقلال الذي نحتفل بعيده اليوم، وجرت المفاوضات في جنيف في ٢١ نوفمبر ١٩٦٧م، وفي يوم الخميس الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م أعلن الاستقلال الوطني وتم إصدار قرار من الجبهة القومية بتعيين قحطان محمد الشعبي رئيساً للجمهورية، والذي بدوره شكل أول حكومة للاستقلال الوطني، واعتبرت الجبهة القومية التنظيم الوحيد في الجمهورية، وبذلك انفردت الجبهة القومية بصورة أنانية بالسلطة ولم تعمل على مشاركة القوى السياسية التي ناضلت في الثورة في السلطة، وذاق عناصر جبهة التحرير والتنظيم الشعبي الأمرّين، فبالرغم من الحدث التاريخي وانتزاع سيادة الجنوب وتحرره من الاستعمار وهو مكسب وطني عظيم، إلاّ أن العديد من المناضلين والشهداء حرموا من حقوقهم الوطنية، وهذه هي أبرز السلبيات.

العدالة الاجتماعية

□ القضية الوطنية مفهوم أوسع من مفهوم الوحدة اليمنية، فالوحدة اليمنية جزء من القضية الوطنية، والقضية الوطنية تشمل الوحدة اليمنية والأرض وحمايتها من قبل الجيش والاستقرار الأمني من قبل الأمن والأمن الغذائي والمعيشي، والمطلوب من السلطة حماية وتعزيز الوحدة الوطنية، لأن مقاليد الأمور في يدها، فالنظام لديه السلطة والمال والسلاح، أما الأحزاب السياسية فإما تابعة داخلياً أو خارجياً وضعيفة وليس بمقدورها عمل شيء، كما أن وجود المنظمات الجماهيرية شكلي، فعلى سبيل المثال لا الحصر النقابات العمالية ليس لها دور في الدفاع عن العمال، والعمال بدون سند أمام استبداد رب العمل، والنقابات تستطيع أن تلعب دوراً جباراً في البلد لشد الأوضاع والدفاع عن الفقراء وتعزيز الوحدة الوطنية، وأضرب لكم مثلاً وهو أنه يصادف هذا العام عام صنعاء للثقافة العربية ٢٠٠٤م، ويدفع بكل ما هو علمي وثقافي للصدور، وقد جرتني حسن النية للدفع بكتاب أكاديمي بمناسبة هذا العام عنوانه «نشوء وتطور الحركة النقابية العمالية في اليمن ١٩٥٦ - ١٩٦٧م» وذلك قبل ستة أشهر، وليأتي الرأي والفتوى من وزارة الثقافة والسياحة بعام صنعاء عاصمة للثقافة العربية : لماذا يكتب عن النقابات، ولا يزال الكتاب ينام على أرفف وزارة الثقافة؟ مع العلم أنها أصدرت مئات الكتب بالمناسبة، فما الذي يطلب من النقابات من دور في وقت يوجد فيه من يعترض عليها وعلى تاريخها؟

إن دور النقابات شكلي، ولهذا لن نستطيع أن نطلب منها شيئاً، وتاريخياً فإن حركة القوميين العرب تعد إحدى فصائل الحركة الوطنية اليمنية الرئيسية، وبعدها تأتي الجبهة القومية ومن ثم الحزب الاشتراكي اليمني، الذي ضم في إطار أغلب فصائل الحركة الوطنية اليمنية، وكانت كل قراراته وطنية وتاريخية، ولكن في ٢١ مايو ١٩٩٤م وقع خطأ وطني فادح، واتخذ لأول مرة قرار غير وطني بتأثير من رابطة أبناء الجنوب التي يترأسها الجفري، والتي كانت تحلم بتحقيق المخطط الاستعماري بقيام دولة الجنوب العربي، وهذا المخطط سقط تاريخياً منذ يوم الاستقلال الوطني، وكان هذا القرار غير الوطني رداً على الحرب الأهلية الثالثة، التي اندلعت في صيف ١٩٩٤م، وهنا أجدها مناسبة للدعوة إلى قيام حزب اشتراكي يمني جديد قائم على العدالة الاجتماعية، ونحن بصدد الوحدة اليمنية الوطنية وتعزيزها أكرر القول بأن أعداء الوحدة اليمنية كانوا في الشطرين وفي النظام السابق في الجنوب معروفين وما زالوا معروفين في المكتب السياسي واللجنة المركزية والحكومة، وكذلك الحال كان في الشمال وفي مجرى الصراع مع أعداء الوحدة اليمنية وفي التصدير لهذا التيار أصدرت كتاباً عن «الوحدة اليمنية تاريخياً» وقدمت وأعددت برنامجين تلفزيونياً وإذاعياً عن «الوحدة اليمنية قضية ومصير» كانا يبثان في عدن، أما طبقات الشعب ودورها وموقفها من تعزيز الوحدة الوطنية للمستقبل اليمني فمرهون بمصالح هذه الطبقات، فطبقة الأغنياء والميسورين الذين يشكلون (٥٪) من الشعب، تحركها مصالحها ومنافعها، ولهذا فهي إما تدعم أو تعارض الوحدة الوطنية حسب مصالحها منها، بينما طبقة الفقراء، التي تشكل (٩٥٪) من الشعب، تلهث وراء لقمة العيش، وليس هناك من حل لمشاكلها وكسبها إلاّ بتطبيق العدالة الاجتماعية، وعلى كاهل هذه الطبقة تقف الوحدة الوطنية الحقيقية مستندة.

المصلحة العليا للوطن

□ ذكرى الاستقلال الوطني عبرة لنا للحفاظ على السيادة الوطنية وعدم التفريط بالتراب اليمني، كما أنها تذكرنا بالمصالح العليا للوطن التي من المحظور المساس بها، وهي عبارة عن خطوط حمراء يمنع تجاوزها، ويعطينا الحق في أن الجيش يحمي الحدود من أي عدوان خارجي، كذلك الأمن مهمته مراقبة الأجانب ومكافحة شبكات التجسس الأجنبية، سواء التي عادت إلى النشاط من تحت الأرض أو التي تشكلت حديثاً، وأهم من هذا وذاك